القرآن الكريم بين إعجاز النّظم وإشكالية التّرجمة

Quran between the miracles
of systems and the problem of translation

الدكتورة: حسيبة حسين

جامعة البليدة2–الجزائر–

HASSIBA HOCINE (hassibahocine@yahoo.com)

تاريخ الارسال : 2019/05/07 تاريخ القبول 2021/04/02 تاريخ النشر2021/12/20

ملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تعالج قضية هامة من القضايا المتعلّقة بعلوم القرآن الكريم وهي إعجاز نظمه الذي كان واحدا من أساب التحدّي، والذي كان محلّ دراسة من العلماء القدامى الذين بيّنوا أسرار مفرداته وحروفه وتنوّع تراكيبه وكثرة معانيه وأساليبه البيانية التي كانت سحرا يضاف إلى اللّغة العربية.

ثمّ تسلّط الضّوء من خلال هذا كلّه حول إمكانية نقل المعاني المختلفة إلى لغات أخرى غير العربية من أجل تسهيل فهمه لغير النّاطقين بها محاولة الوقوف عند أهمّ الإشكالات التي وقعت فيها هذه التّرجمات ومدى صدقها في التّعامل مع القرآن.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز–إعجاز النظم–تنوع المعاني–الترجمة الحرفية–الترجمة التفسيرية–الاستشراق.

Study Summary

This study attempted to address an important issue related to the sciences of the Holy Quran, a miracle which was organized by one of the heroes of the challenge, which was the subject of a study of the bloody scientists who memorize the secrets of his vocabulary and letters and the variety of structures and the ball of its meanings and methods that were added to the magical language.

It then sheds light on the possibility of transferring different meanings into languages other than Arabic in order to facilitate its understanding of non-Arabic speakers.

key words
Miracles - the miracles of systems - the diversity of meanings - literal translation - interpretive translation - Orientalism.

مقدمة:

تعدّ الدّراسات القرآنية من أجلّ وأشرف الدّراسات كونها تتعلّق بكلام الله المعجز في لفظه وأسلوبه ومعانيه، بل بكلّ حرف منه، وكلّ حركة وكلّ كلمة إلاّ وهي تحتلّ وجها من أوجه الإعجاز، ثمّ كانت التراكيب بابا واسعا في التميّز، ما جعل العلماء قديما وحديثا يحاولون كشف السّتار عنه، فنظر كلّ منهم إلى زاوية من زواياه لمعرفة عجائبه وأسراره ووجه التحدّي فيه، فالقرآن ملك سرّ الفصاحة كلّها فكان قوت كلام البشر، فتباينت أساليبه عن أساليب الخطباء وتناسبت الآيات بالمفردات في نظمها على اختلاف المعاني الدّالّة عليها، فصارت كأنّها ترتقي عن اللغة ارتقاء لا مثيل له.

وإذ تعدّ الدّراسات المتنوّعة حول القرآن غاية في الأهمّية سمحت بارتقاء اللّغة العربية من جهة والدّعوة إلى الله عزّ وجلّ عن طريقها من جهة أخرى، ثمّ كان الاتّصال بين الأمّة الإسلامية وغيرها قد احتاج إلى وسيلة للتواصل معهم لتفسير القرآن بلغاتهم، فكانت حركة التّرجمة التي اعتبرت وسيلة من وسائل هذا الاتّصال الحضاري الفعّال الذي استطاع التّأثير على الأمم مع محافظته على التّراث العلمي والثقافي السّابق.

وإذ تتّصل هذه التّرجمة بالقرآن الكريم فهي لها خصوصيتها التي حاول العلماء ضبطها والنّظر فيها حيث عرفت نشاطا كبيرا عمل المستشرقون على نقل كلام الله من خلالها إلى جميع لغات العالم في حركة علمية واسعة.

فكانت هذه الدّراسة لتحاول الوقوف عند جانب حسّاس وحيوي متعلّق بنقل كلماته أو معانيه أو تفسيره إلى لغة غير العربية ومعرفة حدود ذلك كلّه.

وكون هذه الدّراسة مرتبطة بموضوع الإعجاز من جهة وتحدّيه لحركة التّرجمة من جهة أخرى، ومعرفة حدود ذلك كلّه.

ومنه تتمثّل إشكالية الدّراسة في الوقوف عند حقيقة هذه التّرجمات الاستشراقية التي توهم بالاهتمام بالقرآن، إلاّ أنّ الإشكالات التي وقفت فيها في مقابلة إعجاز نظمه فرضت ضرورة النّظر فيها، فهل يمكن للمستشرقين أن يكونوا موضوعيين أمام القرآن الكريم، وما هي أهمّ الإشكالات التي وقعت فيها تراجمهم؟ وإلى أيّ حدّ يمكن نقل المعاني إلى لغة غير العربية أم أنّها تبقى مجرّد تفسير؟ وما هي سمات هذه التّراجم؟

أولا: مفردات الدّراسة:

1-الإعجاز: لغة: العجز نقيض الحزم، والعجز الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة عن العجز، عدم القدرة.

وقال اللّيث: أعجز في فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[1].

اصطلاحا: قال السّيوطي: اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة(**2**).

وذكر الرّافعي أن الإعجاز شيئان:

-ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدّة الإنسان واتّصال عنايته.

-ثمّ استمرار هذا الضعف عن تراخي الزّمن وتقدّمه فكأنّ العالم كلّه في عجز إنسان واحد ليس له غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت"[3].

ومعنى إعجاز القرآن هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان مثله رغم توفّر ملكتهم البيانية وقيام الدّاعي إلى ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك[4].

2-النظم:هو حسن ترتيب الكلمات في الجملة بحيث تكون كل كلمة في محلّها المناسب لها، وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة[5].

3-التّرجمة:

-لغة:وردت لأربعة معانٍ في اللغة العربية وهي:

-تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول الشّاعر[6]:

إنّ الثمانين وقد بُلِّغْتَها - أحوجت سمعي إلى ترجمان

-تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إنّه ترجمان القرآن[7].

-تفسير القرآن بلغة غير لغته وجاء في القاموس المحيط "إنّ الترجمان هو مفسّر الكلام[8]، كما جاء في الصّحاح "ترجم كلامه إذا فسّر كلامه لسان آخر"[9].

-نقل الكلام من لغة أخرى حيث جاء في لسان العرب "التّرجمان بالضمّ والفتح هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغته إلى أخرى[10].

اصطلاحا:عرّفت التّرجمة تعريفات كثيرة أهمّها:

"هي التّعبير عن معنى كلام في لغة كلام آخر مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"[11].

وهي أيضا "فنّ جميل ينقل ألفاظا ومعانٍ وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث إنّ المتكلّم باللّغة المنقول إليها يتبيّن النّصوص بوضوح ويشعر بها بقوّة، كما يتبيّنها ويشعر بها المتكلّم باللّغة الأصلية"[12].

وترجمة القرآن تطلق إما على لفظه أو معناه.

فأما الترجمة الحرفية فتكون بنقل كل كلمة عربية إلى نظائرها من اللّغة المترجم إليها مع مراعاة النظم والترتيب في الجملة ودون النظر إلى المعنى وتسمى بالترجمة اللفظية.

وأما الترجمة المعنوية وتكون بأن يلمّ المترجم بمعنى الجملة العربية ثم يصونه في جلمة من اللغة الأخرى، ودون أن يقيّد نفسه بترتيب الكلمات أو مساوئها كما في الأصل، وتسمى بالتفسيرية[13].

ثانيا: القرآن الكريم وإعجاز النّظم:

إنّ القرآن الكريم كتاب الله المقدّس الذي تميّز بأسلوب فريد جعل منه كلاما فوق كلام البشر، تميّزت مفرداته بالدقة في النظم والتركيب، وكانت عباراته منسجمة في تناسق رائع حيث جعل الاتجاه الفني في دراسته يتجه إلى اتّجاهين:

-ناحية البلاغة التي تمثّل في اتّباع موضع البلاغة بعزل الأساليب التي تعدّ حاملة لها، فتفضي إلى أنّ إعجاز القرآن يمكن حصر أسبابه في بلاغة العبارة أو في النّكت وهو ما قاله الرمّاني[14].

-ناحية بلاغة النظم التي تعتمد على وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه، حيث تقتصر البلاغة على ذلك، وهذه الناحية تتجاوز النكت الموجودة المعزولة عن سياقها إلى النص بأكمله[15].

إنّ الحديث عن نظم القرآن الكريم جعل العلماء ينظرون إلى مدى مخالفته لغيره من الكلام الذي ألفه العرب والذي استطاع أن يبهر فصحاءهم، بل وقرّون بجمالية وصفهم أمامه"فالعادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر والسجع والخطب والوسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في أحاديثهم، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة من الحسن تفوق كلّ طريقة لقوله تعالى:"إنّه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر"(16)[17].

وإن كانت أقوال العلماء قد تباينت في تحديد أوجه الإعجاز إلاّ أنّ الباقلاني يرى أنّ "القرآن الكريم معجز بجنسه وأسلوبه، ولما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحدّ الذي لا يقدر عليه البشر"[18].

يقول الخطابي في بيان إعجاز نظم القرآن :"اعلم أنّ القرآن إنما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أحسن المعاني من توحيد الله عزّت قدرته وتنزيه له في صفاته.."[19].

وقد أكّد على هذه الخاصية الجرجاني بقوله:"وهل تشك في قوله تعالى:"وقيل يأرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر وقيل بُعدا للقوم الظالمين"[20]،إنّك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض"[21]،وفصل الرافعي في نظم القرآن من جهاته الثلاث،الحروف والكلمات والجمل، وبيّن أنّه "لولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب لذهب العرب بكلّ فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلاّ كما بقي من بعده هؤلاء في العامية، بل بقيت اللغة نفسها"[22].

وقد بيّن ابن الأثير أنّ تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأنّ التركيب أعسر وأشق،" ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم —من حيث انفرادها- قد استعملتها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنّه يوافق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلاّ لفضيلة التركيب"[23].

ولابدّ في مثل نظم القرآن من إخطار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللّغة، "حيث لا تندّ لفظة، ولا تختلف ثم استحمال أمسها رحما بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه وأبلغها في التصوير وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء وأكثرها غناء ثم اطّراد ذلك في جملة القرآن على اتّساعه وما تضمنّت من أنواع الدّلالة ووجوه التأويل..."[24].

فاللّفظة في القرآن الكريم تتميّز بصفتها العنصر الأساسي في الجملة باتّساقها الكامل مع المعنى بحيث وضعت كلّ لفظة في موضعها المناس لتؤدي معنا مناسبا، تتّسع دلالتها باتّساع ما تحمله تلك المفردات من المعاني المختلفة بحس تنوّع سياقات الجمل والتراكيب.

أمّا عن الجمال اللّغوي للقرآن الكريم فكونه "تلك الظّاهرة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كلّ ترتيب، وبيان ذلك أنّك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذّة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات"[25].

وتؤكّد الدّراسات التداولية الحديثة على دقّة القرآن الكريم في التعبير عن معانيه"كونه خطابا إلهيا تعدّت لغته حدود البشر في الفعل الكلامي من حيث إنجازه المتصل بقيمة الخطاب ووعيد وتأكيدا وغيرها من وجوه الإعجاز التداولي، ومن حيث تأثّره بالقول تصريحا وإضمارا ومن خلال فعل القول نفسه عند إنتاج التركيب صوتا أو علامة لسانية تتمظهر في وحدات مفرداتية قرآنية تلائم السّياق"[26].

ففي تفسير قوله تعالى:"على أن نسوّي بنانه"[27]، ذكر السيوطي "هو الأصابع يفيد عظامها كما كانت مع صغيرها فكيف بالكبيرة"[28].

أمّا في عين بعض الناظرين في الإعجاز العلمي الحديث أنّ الآية "تشير إلى معجزة البصمة التي لا تتكرّر بين إنسان وآخر فكيف يمكن استخلاص قول يتلاءم مع معنى هذه الآية ومعنى المفردة"[29].

وإنّ القرآن الكريم هو الكلام المعجز الذي لا تنقضي عجائبه وأسراره لذلك فقد رفع التحدي ويبقى ماضيا إلى يوم القيامة ولا يزال العلم يكشف الكثير من أسراره.

ثالثا: القرآن الكريم وإشكالية التّرجمة:

لقد خاض العلماء قديما في موضوع ترجمة القرآن الكريم ومدى حفظ هذه الأخيرة لمعاني الإعجاز المتفاوتة والمتباينة.

فأجاز العلماء تفسير القرآن بغير لغته العربية لمن لا يحسن العربية، وهي تجري في حكمها مجرى التفسير العربي لمن يحسن العربية، أما نقله إلى لغة أخرى بالتعبير عن ألفاظه بلغة غير العربية (حرفية كانت أو معنوية) فهي التي كانت محلّ خلاف[30]،واختار كثير من العلماء أنّها مستحيلة عادة وعقلا[31].

-لأنّ ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال إذ لابد في تحقيقها من الوفاء بجميع معاني القرآن الأولية والثانوية والوفاء بجميع مقاصده[32].

-ولأنّ ترجمته بهذا المعنى مثل للقرآن، وكلّ مثل للقرآن مستحيل[33].

-فالترجمة الحرفية تعني ترجمة نظم القرآن بلغة أخرى حذوا بحذو، حيث تحل مفردات الترجمة محلّ مفرداته وأسلوبها محلّ أسلوبه حتّى تتحمّل الترجمة ما لا تحمله نظم الأصل من المعاني المقيّدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها

التشريعية، وهذا غير ممكن بالنسبة لكتاب الله...،لأنّ القرآن معجز في نظمه ومعانيه وأحكامه وتشريعاته فلا يمكن لأيّ لغة أن تحاكيه وأن تأتي له بالمثل، وهذا أمر متّفق عليه لدى جميع العلماء(34).

واعتبر ابن قتيبة أنّ ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت لم يتغافلوا أديت المعنى بلفظ آخر"(35).

وهو الأمر الذي وضعت فيه التّراجم الحديثة التي اهتمّت بترجمة النص دون المعنى.

-أنّه لابدّ أن يكون في اللّغة المترجم إليها مفردات مساوية لمفردات القرآن ووجود ضمائر وروابط مساوية لضمائر وروابط القرآن الكريم حتى يمكن أن يحلّ كل مفردة من الترجمة محلّ نظيره من الأصل(36).

-ولا يقول أحد أنّ الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها :إنّها كلام الله، فإنّ الله لم يتكلّم إلا بما تتلوه بالعربية، والذي يتعبّد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته(37).

أمّا الترجمة التفسيرية التي لاقت اهتماما واستحسانا من أهل التفاسير كونها ضرورية لغير النّاطقين بالعربية والتي يقصد بها ترجمة لتفسيره فلا شكّ أن كلا من التفسير وترجمته بيان ناحية أو أكثر من نواحي للقرآن لا يحيط بها إلاّ من أنزله بلسان عربي مبين، وليس في واحد منهما إبدال لفظ مكان لفظ القرآن و إحلال نظم محلّ نظمه، بل لفظ القرآن ونظمه باقيان على حالهما صورة ومعنى من غير خلل ولا نقصان(38).

وهي محلّ جواز من العلماء كونها تخدم مصلحة الإسلام لمن لا ينطق باللّغة العربية، قال ابن حجر:"فمن دخل الإسلام أو أراد الدّخول فيه فقرئ عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجّة فيدخل فيه"(39).

وأجاز الزمخشري ذلك بقوله:"لا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأنّ التّرجمة تنو عن ذلك وتكفي التطويل فيبقى أن ينزل بلسان واحد"(40).

رابعا: إشكاليات التّرجمة:

تعترض التّرجمة كثير من الصّعوبات:

1-أنّها تصعب ترجمة معاني القرآن الكريم كونه معجزا ومحكما، إذ لا يمكن الوقوف عند دقّة التّراكيب أو جمال المعاني وأثرها على النّفوس، "فإنّ أيّ ترجمة لن تضاهي نصّ القرآن الكريم، ولذلك لن تصل الترجمات إلى درجة الكمال، فالكمال لن يكون إلاّ في النصّ العربي المبين"(41).

2-إنّ عمق دلالات القرآن جعله يبلغ يومئذ"غاية تفوق ما بلغته غايات الألسنة كلّها وما ستبلغه ألسنة البشر إلى آخر زمانهم في أحكام ألفاظه وفي تناسق جرسه، وفي دقّة تركيبه وفي إنتاج تفصيله.."(42).

وممّا لاحظه الدكتور محمود العزب على الترجمة العبرية للقرآن، أنّ الجانب الصوتي أقلّ الجوانب تأثيرا في الترجمة، وأنّ الجانب الصّرفي قد تؤثّر فروقه في درجات دقيقة وقليلة من جانب المعنى.

أمّا الجانب التّركيبي فهو موضع النّظر والبحث وهو بذلك جديد في تركيب الجملة العبيرة ونظامها(43).

كما بيّن وجود عيبين لا يمكن قبولهما بأيّ حال من الأحوال:

الأوّل:ويشترك فيه المترجمون الفرنسيون والعبريون وهو تقسم الآية الواحدة (الطويلة غالبا) إلى عدة آيات.

والآخر:هو دمج عدد آيات (قصيرة أحيانا) في آية واحدة، الأمر الذي سيؤدي إلى بعدين خطيرين، أحدهما يتعلّق بالعقيدة وهو عدم جواز التدخّل في عدد سور الآيات لعدم المساس بقدسية القرآن، والثاني أنّ الأمر سيؤدّي إلى إضلال القارئ غير المسلم[44].

3-عمق المعاني والدلالات في القرآن الكريم جعل استحالة فصلها عن ألفاظها "فكلّ لفظة فيه أريد بها معنى معينا، فإذا عنَّ للمترجم أن يتغافل عن لفظة من القرآن فقد أسقط معنى من معانيه، وإذا بدا له أن يضيف ألفاظا إلى القرآن فد أضاف معنى ليس من معانيه، بل إنّ في ترتيب ألفاظ القرآن معنى مقصودا فإذا ذهب المترجم إلى تأخير ما يقتضي أن يقدّم، وتقديم ما يقتضي أن يؤخّر فقد أخلّ بهذا المعنى المقصود"[45].

فألفاظ القرآن الكريم موضوعة في مواضعها لتؤدي مقاصدها "وليس منها إلاّ متخيّر مقصود من بين الكلم ومن بين الحروف ومن بين الحركات"[46]، وقد تفوت هذه المعاني المرادة على المترجم فلا يصيب المراد من الترجمة، كقوله تعالى:"ما كذب الفؤاد وما رأى"[47]، فجاء في ترجمة "بلاشير" " Son imagination n'a pas abusé sa vue ، فتلاحظ أنّ "بلاشير" يترجم الفؤاد بمعنى الخيال أو التصوّر وهي كما ترى مخالفة للمعنى"[48].

وقد فسّر القرطبي الآية:"أي لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، ذلك أنّ الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربّه تعالى، وجعل الله تلك رؤية، وقيل كانت رؤية حقيقية بالبصر"[49].

4-عدم تطابق اللّغات، فد نقل أو حيان التوحيدي جميع "جهاتها، بحدود صفاتها وأسمائها وأفعالها وظروفها وتأليفها، وتقدمها وتأخيرها واستعاراتها وتحقيقها"[50].

يقول الدكتور صلاح كرشيد وهو مترجم لمعاني القرآن إلى الفرنسية :"إني وجدت بالفعل صعوبات جمّة في ترجمة بعض الكلمات القرآنية مثل :الأمة-الحق-الفاسقون-وغيرها مما لها من معانٍ مختلفة"[51].

كما وجد المترجمون صعوبة في ترجمة حروف "فواتح السور ومسألة المترادفات ومسألة أسماء الله الحسنى ومسألة التأنيث والتشبيه في اللغة العربية ومسألة ضمير الشّأن ومسألة الكلمات المعربة ومسألة المتشابهات والمحكمات ومسألة لفظ الجلالة وغيرها"[52].

وهو ما يصطلح عليه بلغة الترجمة "وهو" أنّه لن يترجم القرآن كاملا قط، أو أنّه لن يترجم من إلا جانب الدّلالات الأصلية جانب المعاني التي تشترك فيها جميع الألسنة"[53]، وهو الذي يبقي على الترجمة محدودة الدلالة سطحية المعنى.

وذكر الجاحظ أنّ "الترجمان الذي لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل...،

وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقّها وصدقها إلاّ أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات بمخارجها"[54].

5-إشكالية خاصة بالملتقي للترجمة، وكيفية تلقيه وإدراكه لهذه النصوص المترجمة ومدى تفاعلها معها، باعتباره الحلقة الهامّة التي من أجله كانت هذه التّرجمة، يقول المراغي:"يجب على كلّ مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النّظم العربي إلى قراءة إحدى الترجمات، ولا يمكن الادّعاء بأنّ النّظم العربي يؤثّر وتكون له لذّة وطلاوة عند جاوي أو فارسي أو تركي أو صيني يفهم العربية، فالأمم الإسلامية التي لا تفهم العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربي، حتى تكون قراءة الترجمات مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير، وعلى العكس فإنّ قراءة الترجمات يجعلهم يحصلون على طلاوة المعاني ولذّتها وتأثيرها"[55].

وتعدّ ترجمات المستشرقين من أبرز المجالات التي نقلت معاني القرآن الكريم إلى لغات كثيرة تجاوزت المائة لغة[56]،إلاّ أنّها كانت لها خصوصية كبيرة من حيث التعامل مع القرآن المقدّس وقد تميّزت بما يلي:

1-اعتمادهم على ترجمة النص دون المعنى: حيث نجد أنّ "ن ج داود" يقول في مقدمة ترجمته The Coran. Translation with notes "القرآن ترجمة وملاحظات": "وفي إعداد هذه الترجمة الجديدة قصدت أن أقدّم للقارئ نسخة للقرآن بالإنجليزية المعاصرة، وأمددت القارئ بحواشي تفسيرية تفاديا لقلب النص إلى تفسير بدلا من ترجمة"[57].

ومثل هذا النوع من الترجمة نجده يمسّ بثوابت العقيدة التي تقضي بالتحدي القائم في القرآن الكريم، و"أنت تنظر في كتاب داود لا ترى ترجمة للقرآن ولا ترجمة معانيه وأنت تعيد النظر فيه فلا تجد ترجمة للقرآن ولا ترجمة للتفسير"[58]، إذ نجدهم يحاولون إثبات بشرية القرآن من خلال التشكيك في بعض نصوصه وتحريف ترجمة معانيها فضلا عن المساس بتعاليم الدين وقيمه.

ففي قوله تعالى:"كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله"[المائدة-64]، فقد جاء ترجمتها:" Chaque fois que fut allumé un feu pour la guerre ;nous l'éteignes[59]

جاء في تفسير القرطبي للآية:"أمّا المقصود بالذين أوقدوا نارا هم اليهود، والذين كانوا يثيرون الفتن فيوهن الله قصدهم، وأنّ لفظ النّار مستعار"[60].

أمّا ما جاء في التّرجمة/ فجاءت التّرجمة في الفعل "أوقدوا" بصيغة المبني للمجهول بمعنى "كلما أوقدن نار"، وفي فعل "أطفأها الله جاءت التّرجمة بمعنى أطفأناها نحن، فقد تصرف بصيغة النص القرآني فاستبدل "بلفظ الجلالة" ضمير المتكلّم (نحن Nous) دون أيّ مبرّر وخلافا لما هو ثابت في النصّ[61].

ويظهر جليّا في هذه التّرجمة التصرّف الواضح في النصّ وإبعاده عن معناه الحقيقي وهو فضح حقيقة تصرفات اليهود.

2-إغفال النص الأصلي عند الترجمة سواء من حيث الترتيب أو احترام الموضوعية العلمية في عملية الترجمة، فنجد أنّ داود لم يلتزم الترتيب المصحفي المأثور، كما خالف ترتيب النزول والترتيب التاريخي الذي عمل به بعض المستشرقين، واعتمد ترتيبا غريبا مداره على أمرين:

أحدهما قصر السّور وطولها ، والثاني شاعرية السور (بزعمه)، فبدأ بترجمة السورة القصيرة وتتضمن العنصر الأكثر شاعرية ثم الأطول والأقل شاعرية وهكذا...، وسوغ اعتماده هذا الترتيب رغبته في عدم صدمه القارئ بالسّور الطويلة البقرة والنساء..."[62].

3-التردّد وعدم الارتياح، فقد كان من الواضح أنّ غاية المستشرقين من الترجمة ليست خدمة الإسلام بل هي حرب ضدّه، فكانت تراجمهم لا تهتمّ بأصل النصّ "ففكرة التنصير كانت وراء ترجمة القرآن ، وكذلك الحرب ضدّ الإسلام والمسلمين لم تر دراسة أصل المصادر ضرورية واكتفت بالترجمات التي عبّر الفرنسيسكاني "روجر بيكون" عن عدم قناعته بها"[63].

كما نجد أنّ بعض "المترجمين الفرنسيين مثل "جاك بيرك" يشعر بنوع من التردّد إزاء اختياره المفردة المناسبة من بين عدة مفردات، ولذا نراه عندما يقرر أخيرا تفضيل مفردة ما في لغته الفرنسية يعلّق في حاشية أسفل الصفحة محاولا تسويغ ذلك الاختيار مركّزا على التفسير الذي رجع إليه وأحيانا على سبب النزول"[64].

فكلمة الغيب في قوله تعالى :"الذين يؤمنون بالغيب"[62]، ترجمها الأستاذ حميد الله بالخفيّ غير المرئي، ووضع حاشيته (كلّ ما لا نستطيع ملاحظته أو معرفته بل كل ما لا نستطيع التحقّق من وجوده في الماضي أو الحاضر أو المستقبل"[65].

4-اتّسامها بالضعف: فقد اعتبر يوهان فوك أنّ كلّ ترجمة استشراقية جديدة هي الدليل المتجدّد على ضعف سابقاتها، بل تستمدّ من هذا الضعف مسوّغ وجودها، ولا يقتصر الأمر على التّرجمات الجديدة بل إنّ الترجمة الواحدة تتعرّض للتنقيح مرات ومرّات بسبب ضعفها البادي منذ ولادتها، وتعدّ ترجمة "أندريه دوريه" الفرنسية أبرز الأمثلة على ذلك"[66]، ويرجع سبب ذلك عموما إلى جهلهم بأصول اللغة العربية وأسرارها التي تختلف اختلافا جذريا عن لغاتهم وعليه يذهب "جاك بيرك" صاحب أحدث ترجمة للقرآن للفرنسية إلى أنّ الترجمات الفرنسية التي سبقت ترجمته قد قام بها مترجمون لا يحسنون الفرنسية نفسها أكثر من العربية والعكس صحيح"[67]، ويظهر ذلك جليا في الأخطاء النحوية أو نقل المعاني، وقد وقف بعض العلماء على تلك الترجمات وبيّنوا ما فيها من الأخطاء، فقد وقف الدكتور عبد الراضي بن محمد بن عبد المحسن على أهم هذه الأخطاء منها: "تحوير صفات النبيّ صى الله عليه وسلّم جاءت أمية النبيّ على رأس تلك الصفات التي عوملت بقسوة شديدة في الترجمة... "الذين يتّبعون النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم ف التوراة والإنجيل[66]، لأنّ هذه الصفة المحور تبطل الادّعاءات والشّهات المثارة حول بشرية القرآن ونبوّة محمّد.، وأورد ترجمة "بلاشير" للنبيّ الأمّي وتعني نبيّ غير اليهود ونبيّ الوثنية أمّا ترجمة Prophète des gentils، وأمّا ترجمة "دينيس ماسون" Prophète des

infidèles، وتعني نبيّ الكفرة،وكانت ترجمة "جاك يرك" Prophète des maternels أي نبيّ الأمومة[67].

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى:"وكذلك نجزي المجرمين"[68]، حيث جاء في ترجمة "داود This shall the gnilty berewarded،وقد جاء في نقد الترجمة كيف قلب المترجم معنى النص القرآني جيث جعله في صيغة المبني للمجهول، إنّ النصّ يشير وضوح إلى أنّ الله تعالى يتولى بنفسه أمر المجرمين فيقابلهم شرا بشر، فلِم جعل المترجم من يجزي المجرمين مجهولا"[69].

وقد أرجع بعض الباحثين أسباب وقوع هذا الخلل إلى كون مناهجهم في الترجمة كانت غير موضوعية حيث اعتمدوا على:

-إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حس أهوائهم.

-تحريف النصوص تحريفا مقصودا.

-تأويل النصوص حيث لا يجدون مجالا للتحريف

-حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يثت أن القرآن كلام.

-بذل كل مجهود لإثبات بشرية القرآن[70].

وقد حاول العلماء قديما وحديثا ضط الترجمة حماية لها من الإساءة للقرآن، لأنّ الغرض منها هو تسير فهم معاني القرآن لغير الناطقين بالعربية، ومن هذه الشّروط:

-معرفة المترجم لأوضاع اللغتين، لغة الأصل ولغة المترجم.

-معرفته لأساليها وخصائصها.

-وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن.

-أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل حيث يمكن أن يستغني بها عنه، وأن تحلّ محلّه كأنّه لا أصل هناك ولا فرع[71]، ومن هنا تظهر عملية الترجمة التي تبدو صعبة ومعقّدة.

خاتمة الدّراسة:

تعدّدت وجوه إعجاز القرآن، وفصل العلماء في ذلك تفصيلا كبيرا، وكان النّظم قد شغل حيّزا كبيرا في الدّراسات القرآنية الإعجازية كونه منبع التحدّي.

وكانت محاولات ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية عديدة م لتبليغ أحكامه ومعانيه إلى غير العرب لتسهيل فهمه، إلاّ أنّ الترجمات الاستشراقية كان لها خصوصياتها حيث وقعت في كثير من الأخطاء والمحاذير.

ومن أهمّ نتائج الدّراسة:

1-القرآن الكريم بنظمه قد ملك سرّ الفصاحة وأساليبها كلّها، فكان فوق كلام البلغاء.

2-الترجمة الحرفية للقرآن هو أن تحلّ مفردات الترجمة وأسلوبها محلّ الأصل، وهو غير ممكن لعدم احتوائها لأسرار النّظم والمعنى.

3-أجاز العلماء تفسير القرآن بغير لغته لمن لا يحسن العربية لضوابط تحفظ النص من التحريف.

4-اهتمّ المستشرقون بترجمة القرآن الكريم بإظهار كثير من نواياهم السيّئة ومن أخطرها محاولة نفي ألوهيته، وإثبات تأليفه من النبيّ صلى الله عليه وسلّم.

5-وقوع التّرجمات الاستشراقية في عدّة إشكالات كان سببهم جهلهم بأسرار اللّغة العربية وبأحكام الدّين الإسلامي من جهة أخرى.

6-لم تلتزم الترجمات الاستشراقية بموضوعية الترجمة من حيث المعنى وترتيب السور التوثيقي، ما يدلّ على سوء نواياهم.

7-إثبات إعجاز القرآن الكريم بعدم إمكان ترجمة دلالاته وتعبيراته وتراكيبه المخصوصة ومفرداته الواسعة.

مراجع الدّراسة:

1-ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التّراث، بيروت لبنان....

2-جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ج116/2

3-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب الجزائر، الطبعة الثامنة،د.ت.ن،ص،139.

4-صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلالته مصدره الربانية، دار عمار عمان الأردن، الطبعة الأولى، سنة النشر، 1461هـ،ص،17.

5-عبد الاهر ن عد الرحمان الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد محمود شاكر، مكتة الخانجي، مص، د.ت.ن، ص،385-33.

6-الشاعر العباسي عوف بن المحلِّم الخزاعي.

7-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.ن، ج2،ص،65.

8-محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، يروت، لبنان،الطبعة الرابعة، سنة النشر، 1987،ج ص،84.

9-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين، يروت لنان، الطبعة الخامسة، سنة النّشر،1987،ص....

10-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق،ج8،ص211.

11-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،ج2ص،91.

12-صفاء الدين خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المارنة، دار الرشيد للنشر، بغداد، العرا، الطبعة الثانية، سنة النّشر،1982،ص،13.

13-مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق سورية، الطبعة الثانية، سنة النشر،1998،ص،259.

14-علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، سنة النشر،1976،ص،69.

15-عبد القادر المهيري، مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني، حوليات الجامعة التونسية، عدد1977،14،ص،93-94

16-سورة الحاقة، آية،40-43).

17-علي بن عيسى الرماني، النكن في إعجاز القرآن، ص102.

18-أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن،تح أحمد صقر، دار المعارف، مصر، طبعة سنة 1954،ص،286.

19-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص27-28.

20-سورة هود،آية،44.

21-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق،ص،45.

22- محمد صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق،ص،215.

23-ضياء الدين ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكات والشاعر، تح أحمد الحوفي، وبدوي طبانة،دار نهضة مصر، مصر،د.ت.ننص،213.

24-محمد صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص،226.

25-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،ج2ص،208.

26-فرناند هاريت، التداولية، تر زياد عز الدين العوف، موقع الآداب العالمية، www.reefnet.gov.sy ،ص،27.

27-سورة القيامة، آية،4.

28-جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلّي، تفسير الجلالين،مكتبة الصنعاء، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سنة النّر،2002،ص،564.

29-صابر حبابشة، محاولات في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة النشر،2009،ص،135.

30-مصطفى ديب بغا، الواضح في علوم القرآن، مرجع سابق، ص،264.

31-المرجع نفسه،ص،266.

32-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق،ج2،ص،121-22.

33-المرجع نفسه،ج2،ص،144.

34-محمد حسن الذّهبي، التفسير والمفسّرون،دار الكتب الحديثة، مصر، طبعة سنة 1396هـ، ج1ص،18.

35-أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح السيّد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، طبعة سنة 18ص،28.

36-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق،ج2،ص،113-144-146.

37-مناع الطان، مباحث في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، الطبعة 35، سنة النشر 1998،ص،325.

38-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، مرجع سابق،ج1ص،28.

39-ابن حج العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة النشر،1301هـ ج3ص8.

40-أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، طبعة سنة 1418هـ،ج3ص،362.

41-محمود بن عبد السلام عزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، (اللغة والمعنى)،نهضة العرب مصر، الطبعة الأولى سنة النّشر، 2006،ص،15.

42-المرجع نفسه،ص،

43-المرجع نفسه،ص،13.

44-ص،13، مرجع نفسه.

45-عزيز عارف، نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم، سلسلة الموسوعة الثقافية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، سنة النشر،2005، عدد 13 ،ص7.

46-محمد صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق،ص،228.
47-سورة النجم، آية،11.
48-عزيز عارف، نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم، مرجع سابق،ص،12.
49-القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن
50-إبراهيم أنسيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، طبعة سنة 1976،ص،70-71.
51-البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الأفاق الجديدة، يروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة النشر،1983،ص،131.
52-عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، الرياض، السعودية، د.ت.ن،ص،540-543.
53-محمد بن عبد السلام عزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، مرجع سابق،ص،23.
54-أبو عمرو عثمان الحاجظ، الحيوان، ج1/75-76.
55-محمد مصطفى المراغي، بحث في ترجمة القرآن وأحكامها، مطبعة الرغائب، سنة 136،ص،16.
56-مقال أحمد إبراهيم شريف، مجلة اليوم الساع، القاهرة، مصر، عدد يوم 26 نوفمبر 2017.
57-أحمد إبراهيم مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، مطبوعات الشعب، القاهرة، مصر، د.ت.ن، ص،37.
58-عزيز عارف، نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم ، مرجع سابق ،ص9.
59-Le Coran p.142
59- فهد المالك، نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم، مجلة البيان، العدد 96، المنتدى الإسلامي بلندن، ص،33.
60-انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،ج6،ص،240.
61-عزيز عارف ، نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم، ط1 بغداد سنة النشر 2005،ج1 ص،125. الموسوعة الثقافية.
62-يوهان فوك، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، تر سعيد حسن البحيري، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، طبعة سنة 2006،ص،22.
63- محمود بن عبد السلام، إشكالية ترجمة القرآن الكريم، مرجع سابق،ص،34.
64-سورة البقرة، آية،3.
65-المرجع نفسه،ص،34.
66-يوهان فوك، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، مرجع سابق،ص،78.
67-محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 167، سنة 1992،صن343-356.
66-سورة الأعراف، آية،
67-عبد الراضي محمد بن عد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القرآن، مجمع الملك فهد لطاعة المصاحف، ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، ص52.
68-سورة الأعراف، آية،0.

69-عزيز عارف، نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم ، مرجع سابق ،ص،75.

70-البنداق محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، مرجع سابق،ص،108، بتصرّف.

71-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ج2ص،93.